

تطور الدراسات الغربية لتاريخ الطب العربي

د. شاكر مطلق

□ مدخل :

ان الدارس لتاريخ العلوم عند العرب ، قد يكون والوهلة الأولى ، ونظراً بوجود أعداد هائلة من المخطوطات العربية ، وغير العربية ، التي تحتوي معلومات ، قد تزيد أو تقل أهميتها بين مخطوط وآخر ، قد يكون اليوم في وضع أفضل ، اذا ما قورن بدارس تاريخ العلوم عند الاغريق مثلاً ، وذلك لقلة ، وأحياناً لندرة المراجع المخطوطة المباشرة والتي ضاع منها الكثير من تاريخ اليونان .

غير أن الامر ، في الواقع ، ليس دوماً كذلك . وبرغم الجهود المبذولة ومنها جهود (معهد التراث) ، المشكورة ، في جامعة حلب ، للكشف عن تلك المخطوطات ومحاولة تصوير وفهرسة ما أمكن منها من المكتبات .

وهناك العديد من المخطوطات العربية في المكتبات الأجنبية كتركية والهند وشمال افريقية وأفغانستان وغيرها ، التي لم توضع بعد على قوائم الفهارس . وما نشر من فهارس حتى الآن ، يكاد يخلو من الدقة اللازمة للتعريف بالمخطوطة بشكل علمي ، حيث يكتب غالباً عليها (كتاب في الطب) ، من دون أن يعني ذلك الشيء الكثير ، كما يوجد بين المخطوطات العربية المكتوبة باللغة العبرية ، العديد من المؤلفات الهامة المجهولة كما يشير الألماني : (مانفريد أولمان Manfred Ullmann) .

وليس الوضع بأفضل منه كثيراً في المكتبات الأوروبية والأمريكية ، حيث تعتبر اللوائح المنشورة عن تلك المخطوطات غير دقيقة ولا يركن إليها دوماً .

والقليل منها تمت دراسته لغوياً ، بشكل دقيق وتحقيقه ، مما يستدعي غالباً العودة الى الترجمات اللاتينية لتلك المخطوطات عند الباحثين الأجانب خاصة .

فهذا (لين تورنديكه Lynn Thorndike) مثلاً يكتب عن الأعمال السحرية عند العرب كتابه (تاريخ السحر History of Magic) بالاعتماد فقط على المراجع اللاتينية ، وهنا تتكشف فروق قد تكون واسعة بين الأصل والترجمة كما كشف (روسكا^(١) Ruska) مثلاً في موضوع (الكيمياء السحرية Alchemie) . أي محاولة تحويل المعادن الوضيعة الى معادن نفيسة .

وكذلك: (شبييرغيس^(٢) Schipperges) في موضوع الطب . حيث ظهرت له الفروق الواضحة بين الأصل والترجمة اللاتينية ، مما حدا (بأولمان M. Ullmann) الى المطالبة بالاستعانة بالنصوص العبرية واليونانية الوسيطة العهد - لغة - للنصوص العربية في حالة تعذر الوصول إليها ، وان كان يؤكد ضرورة قراءة الأصل . وبالفعل فلقد حوى كتابه القيم :

(الطب في الاسلام — Die Medizin in ISLAM) الذي صدر عام (١٩٧٠) في ليدن - كولونية (بريل) — Leiden - Koeln, E.J. Brill كمقطع أول : Erster Abschnitt للبند السادس المتتم : Ergaenzungsbd. VI, 1 من القسم الأول : Erste Abteilung من موسوعة كتاب اليد الشرقي "Handbuch der Orientalistik" الذي اصدره ب . شبولر — B. Spuler والذي قام مؤلفه ، مشكوراً ، باهدائي نسخة منه بتاريخ ١٩٧٢/٥/١٢ مع اهداء لطيف فيه مغلاة ، ومديح شرقي الطابع ، وأربعة أبيات من الشعر ، بخط عربي جميل مشكول ، والذي اعتمدته مرجعاً رئيساً في هذا البحث .

أقول حوى كتابه هذا وبالدرجة الأولى اشارة وإثباتاً الى تلك المخطوطات البعيدة عن الأضواء أو التي تم الكشف عنها منذ وقت قريب نسبياً ، أو التي لم يتم التحقق منها بشكل دقيق أو حققت من قبله ومساعديه .

ويؤكد ضرورة الافادة من (المعلومات الثانوية) التي وصلتنا عن بعض المخطوطات المفقودة ، حيث يشير مؤلف ما إليها في كتابه ، أو ينقل إلينا بعض فقراتها . كما يمكن الاستفادة منها في ترميم معلوماتنا عن مخطوطات بحالة سيئة ، غير مقروءة الأجزاء أحياناً . كما ويمكن الاستفادة منها في موضوع التاريخ للمخطوطة .

هذا ويجب اعطاء الاهتمام اللازم لدراسة المصادر المصورة في المخطوطات العربية^(٣) ومخططات وبقايا الأبنية الصحية (المشافي) وتمديدات المياه وغيرها مما له علاقة بالطب ابّان محاولة التأريخ للطب العربي . هذا الموضوع الواسع الذي لم توفه معظم المراجع التي تحمل اسم (تاريخ الطب عند العرب) حقه حتى اليوم .

بقراط مفلوجاً مضى لسبيله ومبرساً* قد مات أفلاطون
ومضى أرسطاليس مسلولا وجالينوس مات وانه مبطون
وأبو علي قد مضى من سحجه يوما وليس يفيد القانون
ليس الدوا للداء الا عند من إذ قال للأنسان كن فيكون

تطور الأبحاث الغربية في تاريخ الطب العربي

— يعتبر كتاب (شامبير لوغدوني Champier Lugduni) من العام (١٥٠٦) م. المسمى « Liber de medicine Claris Scriptoribus » بدءاً موثقاً لتعامل الغرب مع الطب العربي القديم .

يضع (شامبير) في الجزء الأول من كتابه هذا تحت عنوان (الملوك) بعض الأسماء لعلماء عرب ، حوّرت أسماءهم بشكل يكاد يصعب علينا معرفتهم . وكانت هذه ، وإلى وقت قريب عادة شائعة في التعامل مع الأسماء العربية بحجة صعوبة الترجمة ، الأمر الذي لا نجده في ترجمات أسماء يونانية صعبة أو حتى صينية إلى اللغات الأوروبية .
مثال على ذلك :

هو ثابت	Sabid
هو ابن سينا	Avicena
هو أبو مروان ابن زهر	Abymeron abynzoar
هو ابن الموسوي	Mesue regis damacinepos

ويقوم أحياناً باستعمال الأسماء العربية الأصل كما هي معروفة عندهم ولو كانت معرفة فهذا : (Isaach beimiram Salamonis filius) هو اسحق بن سليمان الاسرائيلي وغيره . والكتاب يحتوي على بعض عناوين كتب لهؤلاء المؤلفين وبعض المعلومات القليلة عنهم .

وليس كتاب مختصر الطب العربي (٤) الذي كتبه (هرمان كورننغ Hermann Corning) بأفضل من سابقه ، وإن كان مؤلفه قد تمكن من عرض موجز للطب العربي منطلقاً من ضرورات عملية .

أما التطور الملحوظ في هذا المجال فقد جاء مع كتابات (دانيال لوكلريك (Daniel Leclerc) ، حيث قدم مجموعة واسعة من المعلومات ، ومحتوى أهم المؤلفات الطبية العربية مع تحاليل عقلانية متحفظة لدراسة أوضاع مؤلفيها الحياتية . ولم يغل كتابه من بعض الأخطاء عندما وضع تواريخ ليست بدقيقة لحياة بعض العلماء العرب مثل :

★ المبرسم : (بالفتح) المصاب بذات الجنب أي السل .

اسحق الاسرائيلي حوالي العام ٦٦٠ م .

سيرابيون (Serapion) حوالي العام ٧٦٢ م .

ابن زهر (Avenzoar) حوالي العام ٨٢٧ م .

ومع ذلك فقد تمكن (لوكلريك) من وضع بعض الأسس الهامة في دراسة التراث الطبي العربي مثل الكيمياء الطبية التي ينسبها الى العرب والتي يتحفظ عليها (أولمان) . وكذلك موضوع ادخال الطب العربي الى أوروبا .

أما (جون فايند John Fiend) صاحب كتاب: « تاريخ الفيزياء History of physik » (٧) المولود عام (١٦٧٥) والمتوفى عام (١٧٢٨) فقد كانت أبحاثه متأثرة بمنهج (هرمان كورننغ) . وقد خصص في كتابه ستين صفحة (من ٢٢٣ وحتى ٢٨٣) لتاريخ الطب العربي، عرض فيها أهم ملامح الطب العربي الفكرية من خلال تقديمه لأهم أطباء العرب .

وقد استند في معلوماته الى مراجع تاريخية عربية مثل تاريخ العالم د. « مكين Makin » (٨) المتوفى عام (٦٧٢) هـ = ١٢٧٣ م . وكذلك (لابن العبري Barhebraeus) وابن أبي أصيبعة (Ibn abi usaibi'a) ، وكذلك اعتمد على الترجمات الطبية اللاتينية المتيسرة .

وقد عرض مدخلا للكتاب « الملكي » للمجوسي (المتوفى عام ٩٤٤ م) ، وحلل المصادر العشرة لكتاب « المنصوري »* للرازي (٩) وأعطى معلومات مفصلة عن أهم مؤلفات بعض العلماء العرب كالرازي وابن زهر وابن سينا .

أما التطور الأهم في هذا المجال فقد قام به (كورت شبيرينغل Kurt Sprengel) في كتابه « محاولة تاريخ عقلاني لعلم الدواء » (١٠) وهو من خمسة أجزاء وطبع في (هاله Halle) ما بين (١٧٩٢-١٨٠٣) م ويعتبر المرجع الأهم لايضاح تاريخ الطب .

وقد خصص في الجزء الثاني - الصفحات (٢٤٩ وحتى ٣٨٣) للتحدث عن (قصة الحضارة الطبية عند العرب) . وتأتي أهمية أعماله من تمكنه من اللغة العربية وقراءته النص الأصلي، حيث درس مراجع خطية لابن العبري و (مكين Makin) وأبي الفداء وعبد اللطيف . كما درس الترجمات اللاتينية لأعمال الرازي وابن سينا وغيرهم .

وسلط (شبيرينغل) الضوء على العلاقات القائمة بين الطب والفلسفة والدين عند الأطباء العرب . ويرى أن الدين قد حد ، بشكل ما ، من امكانية ازدهار الطب العربي .

ويرى (شبيرينغل) أن أهمية الاسهام العربي الحضاري تكمن في المادة الطبية وعلوم الكيمياء ، حيث لم يحفظوا ما وصلهم من الطب اليوناني فقط وانما قدموا انجازات

* هذا الكتاب عرف مترجما الى اللاتينية باسم Medicinalis Almansoris وكان ذا أثر واسع في الغرب خلال العصور الوسطى واهداه الرازي مع كتاب (الطب الروحاني) للمنصور بن اسحق بن أحمد بن أسد (٩٠٢ - ٩٠٨) .

هامة يمكن لنا - كما يقول - الافادة أكثرمنها لو أن أطباءنا - أطباء الغرب - لم ينصرفوا عن تعلم اللغة العربية وعزفوا عن دراسة أعمال ابن ماسويه وابن البيطار وغيرهم عن الأصل (ص ٣٨٣) .

وفي العام (١٨٤٠) قدم - في مدينة غوتنغن Göttingen بألمانيا - ذات الجامعة العريقة - فيرناند فوستن فيلد (Ferdin. Wuestenfeld) كتابه : « Gesch. d. Arb. Aerzte u. Naturforscher » « تاريخ الأطباء العرب وبخاتة الطبيعة » وهو لم يغن كثيراً مجال البحث في تاريخ الطب العربي وان حوى لوائح لأسماء الأطباء وعناوين لكتبهم ، معتمداً على فهراس مكتبات أوروبية ، وعلى (ابن أبي أصيبعة وابن العبري وابن خلكان) وقد أعيد طبع كتابه هذا في العام (١٩٦٣) م . في مدينة (هيلديس هايم Hildesheim) في ألمانيا الاتحادية .

أما (هينريش هازر Heinrich Haeser) في كتابه (كتاب تعلم تاريخ الطب والأمراض الشعبية) المطبوع لأول مرة في (بيننا Pena) عام (١٨٤٥) م ، والذي ساعده فيه المستشرق (غوستاف شتيكل G. Stickel) ، والذي اقتفى فيه آثار (شبيرنغل) ، فقد خصص منه الصفحات (١٢٨ وحتى ١٧٩) للطب العربي . واستطاع باستعانتة بأعمال (فوستن فيلد) و (فينرش Winrich) (١١) أن يقدم تقريراً موثقاً جيداً عن الموضوع .

فهو يغوص بالتحليل في نظريات الأطباء العرب الكبار وأساليبهم العملية محاولاً الافادة منها في علوم التشريح ، والتشريح المرضي ، والجراحة وغيرها وان كان يشير الى أن الفائدة من دراسة الطب العربي القديم تكمن في المعرفة التاريخية أكثر من المعرفة العملية .

وفي كتابه عن (تاريخ الطب العربي) عرض لنا (لوسيان لوكليرك Lucian Luclerc) (١٢) في العام (١٨٧٦) لائحة لمئة عالم دواءٍ عربي كانت قد ضمتها أعمال (ابن البيطار) . كما اعتمد على (فهرست ابن النديم) و (تاريخ الحكماء للقفطي) وفهرس مكتبة (الأسكوريال Escorial) باسبانيا (لقصيري Casiri) والمكتبة الوطنية في باريس .

وقد تعرض هذا الكتاب للنقد حاد من جانب (موريتس شتاين شنييدر M. Steinschneider) (١٣) لما احتواه من أخطاء عديدة ولعدم الإشارة الكافية الى المراجع وعدم الفهرسة الكافية ولمجرد ترجمة لوائح ابن أبي أصيبعة الى الفرنسية وعدم الاستعانة بالمراجع الألمانية .

وضمن (كتاب اليد - الموسوعة - عن تاريخ الطب ل (بوشمان Puschmann) الصادر في (بيننا) عام (١٩٠٢) كتب (شتروتس Strutz) الجزء المعني بتاريخ الطب عند العرب (صفحة ٥٨٩ وحتى ٦٢١) .

وقد قدم فيه معلومات مفيدة مستمدة فقط مما يسمى (بالمراجع الثانوية) ومن أعمال (فوستن فيلد) و (لوسيان لوكليرك) .

اما (ادوار غرانفيل براون E. Granville Braun) (١٤) فقد قدم في العام (١٩٢١) كتابه الصادر في (كمبردج Cambridge) بالملكة المتحدة البريطانية ، عن الطب العربي ، وهو عبارة عن أربع محاضرات موسعة في هذا الموضوع ، مركزاً على (فردوس الحكمة لابن ربّان) ، (الحاوي للرازي) ، (الكتاب الملكي للمجوسي) وكذلك على (القانون لابن سينا) و (الذخيرة للجرجاني) .

ثم قدم (دونالد كامبل Donald Cambell) كتابه عن « الطب العربي وتأثيره في العصور الوسطى » عام (١٩٢٦) - في جزأين - والمطبوع في لندن .

أهم ما في جزئه الثاني تلك اللوائح للمخطوطات العربية (١٥) التي ترجمت أعمالاً طبية عن اليونانية ، كما فيه بعض المعلومات المتفرقة عن عدد من الأطباء العرب .

وقد حاول (أمين أسعد خير الله Amin As'ad Hair Allah) في كتابه المطبوع في بيروت في العام (١٩٤٦) أن يقدم صورة متكاملة لمجمل الطب العربي مستنداً الى المعلومات التاريخية العربية التقليدية ، ومن دون الاشارة الى المراجع وفيه الكثير من الأخطاء التاريخية .

كما حاول (سيريل إلغود Cyril Elgood) في كتابه عن (تاريخ الطب الفارسي والخلافة الشرقية من القديم وحتى العام ١٩٣٢ م) والمطبوع في كمبردج عام (١٩٥١) (١٧) اعطاء صورة شاملة للطب القديم في فارس والعراق ، وضم الى المرحلة الطبية العربية الكلاسيكية المرحلة الساسانية وغيرها معتمداً على « المراجع الثانوية » ، بسبب ضعف إلمامه بالعربية ، ومعتمداً على (ابن أبي أصيبعة) و (القفطي) وغيرهما .

هذه بعض المراحل في السير نحو كتابة تاريخ الطب العربي لدى الغرب . وهناك طبعاً ، أسماء أخرى لباحثة مهمين في أماكن متعددة من العالم تطرقت الى هذا الموضوع ، لم نشر اليها لقصر الموضوع في حيّز معين .

ويعتقد الباحثة (مانفريد أولمان) أن كل تلك الأبحاث المقدمة لم توف كلمة (تاريخ الطب العربي) حقها ، ويرى أن الوقت ما زال مبكراً وبحاجة الى أبحاث ودراسات عديدة ، وإلى تحليل وجهد للوصول الى ذلك الهدف العالي . لذا نراه يعتمد في كتابه الى تجنب كلمة « تاريخ الطب العربي » ويعتبر عمله مجرد اطار فقط للموضوع ، مؤكداً الضرورة القصوى لسرد المراجع وترقيمها تسهيلاً لأعمال الباحثين في هذا الموضوع معتبراً كتابه مساعدة لهم في أبحاثهم .

والم يعتمد في كتابه التاريخ الزمني المتسلسل أو المواقع الجغرافية . وهو لا يفرق - في كتابه - بين الطب العربي في المشرق وفي الأندلس وإنما يتتبع الموضوع ويرصد تطوره ، بصرف النظر عن الزمان والمكان .

وهو يتحدث في كتابه عن مواضيع مختلفة من التراث الطبي العربي بعد أن يقدم له ، مثل (الطب النبوي) و (الحمية) و (طب العين) و (البيطرة) وكذلك (الطاعون) و (علم الأدوية) . ولا يقلل مواضيع صغيرة (كالصحة الجنسية) و (شراء العبيد) ويتحدث عن

(السموم) و (فحص الطبيب في مهنته) وغيره ، معتبراً أن مثل هذا التقسيم يساعد الباحث على العثور على ما يرغب به من معلومات في مكان واحد ، مما ييسر عليه تصنيف مخطوط ما بين يديه . ويرى كتابه القاعدة اللازمة للانطلاق نحو بحث علمي حقيقي واسهاماً في تاريخ مستقبلتي من الأفكار والمسائل اللازم حلها .

ولا شك في أن اسهامه هذا قد قدم فائدة جلى للبحاث في تاريخ العلوم عند العرب وبخاصة في المجال الطبي وهو غني فعلاً بالمعلومات الدقيقة الموثقة بشكل جيد وبفهرسة مواضيع وافية وسهلة الاستعمال .

ولا بد لنا ، في هذا البحث الموجز ، من التوقف عند اسهامات شخصية علمية مميزة ، لها فضلها الواسع في كشف الكثير من الأمور الهامة في تاريخ الطب العربي ، وبخاصة في تاريخ طب العين الذي بلغ في القرنين الرابع والخامس للهجرة (مرتبة سامية تدعو الى الدهشة حقاً) على حد تعبير ماكس مايرهوف (M. Meyerhof) طبيب العين الألماني في القاهرة الذي قدم لنا وبمناسبة احتفال كلية الطب في الجامعة المصرية بمرور مئة عام على انشائها (١٨٢٧-١٩٢٧) والمتوفى عام (١٩٤٥) ، تلك التحفة الرائعة (كتاب العشر المقالات في العين) لحنين بن اسحق (١٩٤-٢٦٤) هـ .

أما تلك الشخصية البارزة فهي (يوليوس هيرشبرغ J. Hirschberg) أستاذ طب العين السابق في جامعة برلين .

لقد كان (هيرشبرغ) متفهماً في اللغات ومؤرخاً محققاً ، قضى الربع القرن الأخير من حياته في تأليف كتاب قيم وفريد حول تاريخ طب العين (Geschichte d. Augenheilk.) يقع في سبعة مجلدات ، نشره ضمن (موسوعة اليد لمجلد طب العين) (Handbuch d. ges. Augenh.) في برلين ما بين (١٨٩٩ - ١٩١٨) وقد (أضى هيرشبرغ) خمسة أعوام في تدوين تاريخ طب العين عند العرب والشعوب الاسلامية الأخرى معتمداً ، بالدرجة الأولى ، على المخطوطات الطبية التي يدفع بها الى مشاهير المستشرقين في عصره أمثال (ليبرت J. Lippert) و (ميتفوخ Mittwoch) لترجمتها .

وقد تتبع هيرشبرغ نشأة طب العين وتطوره عند العرب والمسلمين منذ نشأته الفعلية في القرن الثالث الهجري ، في العصر العباسي ، والذي بلغ ذروته ، مرفوداً باسهامات فارسية وهندية في سنة / ٤٠٠ / هجرية بظهور كتاب (تذكرة الكحالين) لعلي بن عيسى ، الطبيب العربي المسيحي من بغداد .

وكتاب (المنتخب في علاج أمراض العين) الطبيب العربي المسلم الذي عمل في القاهرة (عمار بن علي الموصلي) ، وعلى الرغم من تراجع طب العين عند العرب ابتداء من القرن التاسع الهجري ، حيث بدأ هذا العلم ، مستنداً الى الترجمات العربية الى اللاتينية ، بالتطور في الغرب الا أن تلك المؤلفات التي كتبت فيما يوصف بعصر الانحطاط في المشرق العربي (تفوق بدرجة عظيمة الكتب التي ظهرت في أوروبا قبيل سنة (١١٠٠) هـ ، (١٧٠٠ م) على حد تعبير (م. مايرهوف) .

لقد عثر هيرشبرغ في الكتب العربية وبالأخص في كتاب (عيون الأنبياء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة على أسماء لما لا يقل عن اثنين وثلاثين كتاباً عربياً في أمراض العين وأسماء لمثل هذا العدد من أطباء العين ، وعلى ستة أقسام في طب العين تشتمل عليها الموسوعات العربية في الطب والجراحة التي صنفها الرازي وابن سينا وأبو القاسم الزهراوي وغيرهم من العرب في المشرق والأندلس ومن الفرس .

لقد استطاع هيرشبرغ ، المتبحر ، كما ذكرنا ، في فقه اللغات ، أن يظهر أن كتاب (عشر مقالات في العين) لحنين بن اسحق ، وهو من أوائل الكتب العربية في طب العين من القرن الثالث الهجري ، موجود تحت اسم مستعار ، في ترجمتين لاتينيتين ظهرت في العصور الوسطى : أولهما باسم (كتاب جالينوس في العين) نقل (ديميتريوس) : (Galenus Liber de Oculis translatus a Demetrio) والثانية باسم (كتاب قسطنطين الأفريقي في العين) : (Liber Oculis Constantini Africani) حيث وجد أن معظم الفقرات العديدة المقتبسة عن كتاب حنين والتي عثر عليها في الترجمة اللاتينية للموسوعة الطبية العظيمة للرازي المسماة (الحاوي) ، وردت ثانية في الترجمتين اللاتينيتين المذكورتين أعلاه .

كما أن ترتيب المقالات فيهما يطابق تماماً الترتيب عند حنين ، على حسب ما أورده (ابن أبي أصيبعة) ، وعلى الرغم من ركافة الترجمة اللاتينية فقد تمكن هيرشبرغ من تتبع جوهر الموضوع وإقامة الدليل على ذلك في رسالة صغيرة قيمة .

وقد كشف هيرشبرغ عن أن جميع أطباء العين المتأخرين قد اقتبسوا من كتاب حنين وشرحوه وبالأخص علي بن عيسى وعمار بن علي وأبو روح بن منصور الطبيب الفارسي المعروف باسم (زرّين دست) والطبيب الأندلسي المغربي في القرن السادس الهجري (الغافقي) وكذلك خليفة بن أبي المحاسن ، وصالح الدين من (سورية) والقيسي من مصر - القرن السابع الهجري - والأفكاني والشاذلي في مصر من القرن الثامن الهجري .

لقد دفع ظهور كتاب (هيرشبرغ) - تاريخ طب العين - في العام (١٩٠٨) طبيب العين الألماني (ماكس مايرهوف) الذي كان يعمل في القاهرة والمتوفى عام /١٩٤٥/ م - كما ذكرنا - إلى محاولة البحث عن المخطوطات التي ورد ذكرها في كتاب (هيرشبرغ) ، وبحكم وجوده في بلد عربي وقربه من البلدان العربية الأخرى فإنه ، وإن أخفق في العثور على الرسالة القيمة المسماة (في المناظر) لابن الهيثم - (المتوفى في القاهرة عام ٤٢٠ هـ) والمعروفة من ترجمة لاتينية ، إلا أنه استطاع أن يعثر في مكتبة (أحمد تيمور باشا) الخاصة في القاهرة على مخطوط يحتوي على ما لا يقل عن ثمانية كتب قديمة في طب العين . وكذلك استطاع العثور على مخطوطات أخرى في طب العين في (دار الكتب الخديوية) - سابقاً - ومكتبة دار بلدية الإسكندرية وكذلك في مكاتب خاصة في بيروت ودمشق وحلب وأماكن أخرى .

وعشر كذلك في مكتبة (أكاديمية العلوم) بمدينة (لينين غراد) على تسع رسائل قديمة في طب العين ، تماثل ثمانية منها تلك التي في مجموعة (أحمد تيمور باشا) ، وأرسل له المستشرق الشهير العالم (كراتشوفسكي) صورة فوتوغرافية عن تلك المخطوطة .
وتعتبر تلك المخطوطات من أوائل المصنفات العربية في طب العين وهنا عرض موجز لها :

المصنفات العربية الأولى في طب العين :

١ - دَغَل العين :

لأبي زكريا يوحنا بن ماسويه (١٩٠ - ٢٤٢ هـ) وهو أستاذ حنين وأحد أطباء البلاط في بغداد ، وهو من أقدم كتب طب العين وقد فقدت ترجماته إلى اليونانية والسريانية . وأسلوبه اللغوي ردي وغير منظم ، فيه نحل في كثير من فقراته والعديد من المصطلحات الفنية باللغات اليونانية والسريانية والفارسية .
وتوجد منه مخطوطة تامة في مكتبة (أحمد تيمور باشا) . وكذلك في (اللينين غراد) .

٢ - معرفة محنة الكحالين :

منسوب ليوحنا بن ماسويه بشكل أسئلة وأجوبة . وهناك شك في نسبها إليه بسبب المصطلحات الفنية ، ذات الطابع المتأخر .
وتوجد منه نسختان خطيتان في المكتبتين المذكورتين أعلاه ، وقد نشر الصديق الزميل الدكتور نشأت الحمارنة في المجلد الثالث - العدد الثاني لعام - ١٩٨٥ - في مجلة (الكحال) التي تصدر في سورية خبر عثوره على نسخة من وضع المؤلف في مكتبة (نور عثمانية في اسطنبول) رقم ٤/٣٥٧٦ .

٣ - كتاب العشر مقالات في العين :

من تصنيف حنين بن اسحق (١٩٤-٢٦٤ هـ) . وهو مؤلف بطريقة علمية . وتوجد منه نسختان في المكتبتين أعلاه ، احدهما مزينة بالرسوم .

٤ - كتاب المسائل في العين :

منسوب أيضاً إلى حنين وهو خلاصة لست مقالات الأولى في كتاب (العشر مقالات ٠٠٠) .

ويتعرض لتشريح العين ولوظائف وأمراض العين من دون التعرض للعلاج ، وعلى الرغم من ذكر (ابن أبي أصيبعة) له وأنه قد صنّفه الولديّ دود واسحق إلا أن (ماكس مايرهوف) يشك في ذلك ويعزوه إلى أحد تلامذة حنين .

وتوجد منه خمس نسخ في نصين مختلفين واختلاف في التواريخ: فالنسخ الثلاث الأولى توجد في لينين غراد (إقامة غريغوريوس الرابع رقم ٤٢) ، والمتحف البريطاني (القسم الشرقي رقم ٦٨٨٨) وتيمور باشا - القاهرة - وهي من النص المتقدم ، أما نسخة ليدن (رقم ٧٤١) و (دار الكتب المصرية - فهرست القديم جزء ٦ رقم ٤٧٧) فهما من النص المتأخر .

٥ - جوامع كتاب جالينوس في الأمراض الحادثة في العين :

مجهول المؤلف ، ربما ملخص لكتاب جالينوس في (تشخيص أمراض العين) . مصنف صغير كان مجهولاً يستعرض إحدى وتسعين حالة من أمراض العين ، مفعم بالمصطلحات اللاتينية ، ربما من وقت متأخر .

توجد منه نسختان كاملتان في (لينين غراد) وتيمور باشا .

٦ - كتاب البصر والبصرة :

ينسب إلى الطبيب الفلكي والمترجم الشهير (ثابت بن قرة الحراني) - العراق (٢١١ - ٢٨٨ هـ) .

وتوجد منه نسختان في (لينين غراد) و (تيمور باشا) . وقد وجد م . مايرهوف أن هذا الكتاب منتحل عن كتاب عمار بن علي الموصلي (كتاب المنتخب في علاج أمراض العين) وفيه ذكر (للرازي) أي أنه صنف بعد سنة ٣٢٠ هـ ولا يمكن أن يكون من وضع ثابت المتوفى عام ٢٨٨ هـ .

٧ - كتاب النهاية والكفاية في تركيب العين . . . :

وهو لخلف الطولوني . يرجح أنه صنف ما بين (٢٦٤-٣٠١ هـ) في مصر وهو كتاب ضخم مفقود .

٨ - فردوس الحكمة :

وهو عنوان موسوعة عظيمة في الطب العام أتم تصنيفها علي بن ربان الطبري - من أطباء البلاط في بغداد - وهو تلميذ حنين وأستاذ الرازي العظيم .

وتوجد منه نسخة وحيدة كاملة في مكتبة المتحف البريطاني (أرونديل - قسم شرقي رقم ٤١) .

٩ - الحاوي في الطب :

هذا هو عنوان الموسوعة الطبية التي احتوت كامل علم الطب من تصنيف أبي بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى حوالي عام (٣٢٠ هـ) وفيها قسم مطول عن أمراض العين ويتضمن عدة مقتطفات من كتاب حنين (العشر مقالات في العين) وقد لخصه هيرشبرغ ، معتمداً على الترجمة اللاتينية ، ومنه نسخة وحيدة لقسم العين موجودة في مكتبة (الأسكوريال) في إسبانيا ، حصل (مايرهوف) على صورة لها عام (١٩٢٨ م) ولم تكن ثمانية من التسعة

مصنفات في العين بمتناول (هيرشبرغ) عند وضعه كتابه عن (تاريخ طب العين) . أما المخطوطات التي اعتمد عليها (هيرشبرغ) ومساعدوه من المستشرقين ليبرت وميتفوخ فهي :

١٠ - تذكرة الكحالين :

لعلي بن عيسى (بغداد) صنفه حوالي سنة (٤٠٠ هـ) ويعتبر من أفضل وأوفى ما كتب في طب العين ويتضمن ، مع اضافات عملية كثيرة ، ما نقله حنين عن اليونان . ومنه نسخ كثيرة ، وكان يوجد منه في القاهرة فقط في أواخر الثلاثينات ما لا يقل عن اثنتي عشرة نسخة .

وعثر الأستاذ صلاح الخيمي على نسخة في المكتبة الظاهرية وكتب عنها عام (١٩٨١) وهي كاملة الأوراق تعود الى القرن السابع الهجري وتحمل الرقم (٨٨٤٩) .

١١ - كتاب المنتخب في أمراض العين :

لعمار بن علي الموصلي (مصر) حوالي سنة (٤٠٠ هـ) وهو كتاب قيم ترجمه هيرشبرغ وليبرت عن نسخة عربية وعبرية ناقصة ويوجد منه جزء في (لينين غراد) .

وعثر الصديق الدكتور نشأت الحمارنة على نسخة في (طوب قابو سراي) في اسطنبول (أحمد الثالث - رقم ١٢/٢٠٨٠) ونشر عنها عام ١٩٨٥ في (الكحال) .

ونسخة غير كاملة في مكتبة (م. مايرهوف) ونسخة وحيدة كاملة في مكتبة (أحمد تيمور باشا) .

١٢ - كتاب تركيب العين وأشكالها ومداداة عللها :

هذا الكتاب هو لعلي بن ابراهيم بن بختيشوع الكفرطابي - نسبة الى كفرطاب في سورية - من القرن الخامس الهجري - عاش في مصر جزءاً من حياته - وهو كتاب بقي مجهولاً وأول من أورده هو (م. مايرهوف) .

ومنه نسختان واحدة في (لينين غراد) والأخرى في القاهرة (تيمور باشا) .

١٣ - كتاب طب العين :

هو لجبرائيل بن عبيدالله بن بختيشوع المتوفى في بغداد عام (٣٩٦ هـ) . واستناداً الى ما ذكره الأب لويس شيخو توجد منه ، نسخة واحدة في مكتبة خاصة في سورية .

١٤ - القانون في الطب :

هذه الموسوعة العظيمة التي لم يؤلف نظيراً لها الا الرازي صاحب (الحاوي) هي لأبي علي الحسين بن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ) طبعت في روما عام (١٥٩٢م) وفي القاهرة عام (١٢٩٤ هـ = ١٨٧٧ م) ، وترجم القسم الخاص بالتشريح فيها الى الفرنسية وقسم العين الى الألمانية .

وقد عثر الصديق الدكتور نشأت حمارنة على نسخ (لموجز القانون) لابن النفيس في دار الكتب الوطنية في تونس (رقم ١٨٣٠) وللورقة ١/٨ رقم ٦٧٨/ والورقة ٤٩/ب رقم ١٦٣٠٠ ونشر عنها في (الكحال) عام ١٩٨٥ .

١٥ - الكتاب الملكي أو كامل الصناعة :

لعلي بن العباس من مسلمي فارس (المتوفى عام ٣٨٤ هـ) ، طبع في القاهرة عام ١٢٩٤ هـ = ١٨٩٧ م .

وقد ترجم القسم الخاص بالتشريح فيه (ديكوينتنخ) وقسم العين لخصه (هيرشبرغ) .

١٦ - كتاب المعالجة البقراطية :

لأبي الحسن أحمد بن محمد الطبري - من مسلمي فارس في القرن الرابع الهجري - وهو كتاب مجهول بالكلية ، وتوجد منه ثلاث نسخ خطية في أكسفورد ووزارة الهند البريطانية وميونينخ في المانيا ، وكان لدى مايرهوف ملخص له في مخطوط قديم ناقص .

وقد شرح هيرشبرغ الباب الرابع منه لقيمته السريرية في طب العين ، وترجم الطبيب المصري (محمد رحاب أفندي) قبل نصف قرن تقريباً ، الى الألمانية ما جاء في المقالة السابقة عن الأمراض الجلدية .

وكان الكتاب يضم رسالة مسهبة في طب العين يرجح (ابن أبي أصيبعة) أنها لم تكن موجودة في القرن الثالث عشر الميلادي .

١٧ - كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف :

وهو لأبي القاسم بن العباس الزهراوي (المتوفى في قرطبة عام ٤٠٤ هـ) وقد طبع مع ترجمة الى اللاتينية وترجم الى الفرنسية ، وأوجز هيرشبرغ شرح الجزء الخاص بجراحة العين ، وفيه رسوم عديدة للأدوات الجراحية المستعملة في جراحة العين .

هذا عرض موجز ، وغير شامل لكافة انجازات العرب في الطب وبخاصة في مجال طب العين ، ولا يتعرض الا قليلاً لتلك الاكتشافات الحديثة لمخطوطات جديدة في طب العين أشار الى بعضها الصديق الدكتور نشأت حمارنة في (الكحال) - المجلد الثالث، العدد الثاني اصدار خاص في العام ١٩٨٥ .

وأخيراً تحية تقدير الى كل من ساهم ويسهم في الكشف عن عطاءات أمتنا العربية ، وعلى رفيع شأنها عبر لعصور .

- 1 — Turba Philosophorum. Ein Beitrag zur Geschichte der Alchemie (Quellen und Studien zur Geschichte der Naturwissenschaften und der Medizin I), Berlin 1931, p. 324.
- 2 — Die Assimilation der arabischen Medizin durch das lateinische Mittelalter, Wiesbaden 1964, p. 20; 54.
— Es sei gestattet, in diesem Zusammenhang die Anregung auszusprechen, dass die Islamkundler zur Identifikation und Verifizierung der Quellen sich ein Hilfsbuch schaffen ähnlich dem von Lynn Thorndike and Pearl Kibre, *A Catalogue of Incipits of mediaeval scientific writings in Latin*, Cambridge (Mass.) 1937.
- 3 — Man vgl. aber immerhin : Die anatomischen Fünfbilderserien, —> S. 180.; Karl Sudho', Augendurchschnittsbilder aus Abendland und Morgenland (= Weitere Beiträge zur Geschichte der Anatomie im Mittelalter 6), in: Arch. Gesch. Med. 8, 1915, 1-21; Die Tafeln zur Augenanatomie in den Veröffentlichungen von Hirschberg und Meyerhof; T. W. Arnold, The Caesarian Section in an Arabic Manuscript dated 707 A.H., in: A Volume of Oriental Studies presented to Edward G. Browne, Cambridge 1922, p. 6 f.; Die chirurgischen Instrumente in den Handschriften des Zahrawī, —> S. 150; Die pharmakobotanischen Abbildungen in den Dioskurides-Handschriften, —> S. 259; Handschriften magischen und astrologischen Inhaltes enthalten oft Abbildungen der Planetengötter, solche alchemistischen Inhaltes Abbildungen von Retorten, öfen und anderen Geräten, —> Teil II.
- 4 — Hermanni Conringii in universam artem medicam singulasque ejus partes Introductio ex publicis ejus praecipue lectionibus olim concinnata, Helmestadii 1687, p. 96-101 (ursprünglich 1651 erschienen).
- 5 — Histoire de la Médecine, où l'on voit l'Origine et les Progrès de cet Art, de Siècle en Siècle; les Sectes, qui s'y sont formées; les noms des Médecins, leurs découvertes, leurs opinions, et les circonstances les plus remarquables de leur vie. Par Daniel Le Clerc, Nouvelle Édition, à la Haye, 1729, p. 771-784 (1. Auflage 1696).
- 6 — Geb. 1675 in Croton, gest. 1728, vgl. Max Salmon, in: Biogr. Lex. Ärzte II 609 f.
- 7 — Joannis Freind, The History of Physick, from the Time of Galen to the Beginning of the Sixteenth Century, 2 vols., London 1726. 1727; Historia Medicinae a Galeni tempore usque ad initium saeculi decimi sexti. In qua ea praecipue notantur quae ad praxin pertinent. Anglice scripta a Johanne Freind, M.D. Latine conversa a Johanne Uvigan, M.D. ad Ricardum Mead, M.D., in: Joannis Freind, Opera omnia medica, editio altera, Parisiis 1735, p. 133-388.
- 8 — Gest. 672/1273; GAL I 348; S I 590.
- 9 — Diese interessante Aufstellung haben später Campbell und Brockelmann, GAL S I 419 abgedruckt, ohne freilich ihre Herkunft anzugeben.
- 10 — 5 Teile, Halle 1792-1803.
- 11 — Joannes Georgius Wenrich, De auctorum graecorum versionibus etn commentariis syriacis arabicis armeniaticis persicisque commentatio, Lipsiae 1842.
- 12 — Zwei Bände, Paris 1876 (Nachdruck New York, o. J.).
- 13 — Deutsches Archiv für Geschichte der Medicin und medicinische Geographie 1, 1878, 356-364 und 437-451.
- 14 — Franz. Ubs. von H.P.J. Renaud, Paris 1933.
- 15 — Bd. I p. 15-31.
- 16 — Bd. I p. 32-102.
— Amin As'ad Khairallah, Outline of Arabic Contributions to Medicine and the Allied Sciences, Beirut 1946.
- 17 — Cyril Elgood, A Medical History of Persia and the Eastern Caliphate from the Earliest Times until the Year. A.D. 1932, Cambridge 1951.